الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم
للأســـتاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

الحضارة المصرية القديمة

كان لقدماء المصريين حضارة رائعة يعتز بها الآن أبناء مصر ، ويفد السائحون من سائر الأقطار لمشاهدة آثارها الباقية ، والتمتع برؤية عجائبها التى تملأ النفس روعة ، وتفعم القلب إعجاباً . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحضارة العظيمة فيما قصه من أخبار فرعون وموسى عليه السلام ، ولكنه لم يمدح منها إلا ما يستحق المدح ، ولم يطر منها إلا ما يستحق الإطراء ، وذلك ما كان منها متجهاً إلى مصلحة الرعية ، من شق الأنهار ، وتعمير الأرض ، والعناية بتوفير خيراتها للناس ، حتى تنمو بذلك ثروتهم ، وتسعد به حياتهم ، فلا يتمتع الملك وحده بالحياة السعيدة ، بينما تعيش الرعية بجانبه فى الذل والشقاء . وقد كان للحضارة المصرية عيوب بجانب هذه المحاسن فأشار القرآن الكريم إليها ، ونددأشد تنديد بها ، وذكر أنها هى التى قوضت بنيان هذه الحضارة ، وجعلتها تنتقل إلى قوم آخرين ، ساروا فى الأرض سيرة صالحة ، وأقاموا فيها موازين العدل ، وتلك سنة الله فى الخلق ، كما قال تعالى فى الآية ـ ١٥٠ ـ من سورة الأنبياء : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فالمراد بذلك الصالحون لعمارتها ، وإقامة بنيان الحضارة فيها ، وهذا هو الذى يشهد به التاريخ القديم والحديث ، فإنا نرى فيه أن الحضارة الإنسانية لم تكن وقفاً على أمة من الأمم ، ولم يستأثر بها شعب من الشعوب ، وكم من شعوب ظهرت بهم الحضارة فأبطرتهم ، وأخذوا ينظرون إلى أنفسهم نظرة إعجاب وإكبار ، وينظرون إلى غيرهم نظرة استهزاء واحتقار ، ويرون أنهم أوثروا بالتقدم على غيرهم إيثاراً ، وقد بلغ من بعضهم أن زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فلم تكن إلا عشية وضحاها حتى سلبهم الله عزهم ، وأورثه قوماً آخرين صالحين متواضعين ، ديدنهم العمل ، ولا يأخذهم شىء من الغرور والكسل

وهذه هى الآيات التى وردت فيما يستحق المدح والإطراء من الحضارة المصرية القديمة ، وهى تصف ما تركه فرعون من آثار هذه الحضارة فى مصر ، حين غرق هو وجنوده فى البحر ، ففى هذا يقول الله تعالى فى الآيات : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ـ من سورة الدخان : « واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ، كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء وما كانوا منظرين »

فانسحب بسرعة لكيلا يقع بين نارين ، ولولا جهود العرب فى الصحراء ، وقطعهم الطريق على الجيش العثمانى ، وحاجتهم للمحطات على طول الطريق ، لما وقع ما وقع ولارتد الجيش سالماً ولأنشأ خطوط دفاع جديدة فى حوران وحول دمشق . ولقد سلم الترك والألمان بهذه الحقيقة الراسخة قبل الحلفاء ، فقال المارشال « ليمان فون ساندرس » القائد العام للجيوش التركية فى بلاد العرب فى مذكراته التى نشرها بعد الحرب الماضية ما نصه : « لقد اتفق شريف مكة وأميرها مع الحلفاء فى صيف عام ١٩١٢ على الاشتراك فى الحرب ، وأعلن استقلال العرب ، فنشطت بذلك حركاتهم الثورية فى بلاد الشام ، وكان الحلفاء يحمونها ، واتسع نطاقها ، وخصوصاً بعد إفلاس سياسة الشدة التى سار عليها جمال باشا ، فى معاملة الشعب العربى . ولقد أراد أنور باشا إعداد حملة عسكرية كبيرة تزحف على مكة ، وتنصب أميراً جديداً عليها ، بيد أن عدم ملاءمة الظروف الحربية ، وعدم جواز اشتراك جنود مسيحيين فى الحرب ، حال دون إتمام ذلك فعدل عنه . ولقد أدت الثورة العربية خدمات جلى للجيش البريطانى ، خلال تقدمه فى شبه جزيرة سينا فكان الإنجليز آمنين مطمئنين يفعلون ما يشاءون كأنهم فى داخل بلادهم ، بعكس الترك الذين مقتهم أهل البلاد ، وملوهم فكانوا يسوقون جيوشهم وكأنهم فى بلاد معادية لهم » . . .

(دمشق)

نسيب سعيد
المحامى

ويقول أيضاً فى الآيات — ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ — من سورة الشعراء « فأخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بنى إسرائيل ، فأتبعوهم مشرقين »

ولا شك أن القرآن بهذا المدح والإطراء لما كان فى مصر على ذلك العهد ، يتفق مع الغاية التى قلنا إن الإسلام جاء من أجلها ، وينادى بأنه ليس ديناً يدعو إلى إقامة نساك وعباد فى الأرض لا غير ، ويزهد الناس فى تعميرها بشق الأنهار ، وإقامة الزروع والبساتين ، وغير ذلك من معالم الحضارة ، ووسائل السعادة فى هذه الحياة ، بل يدعو مع العبادة والنسك إلى ذلك كله ، ويرى أنه لا تتم سعادة الآخرة ، إلا بسعادة الدنيا

وقد ذكر المفسرون فى تلك الجنات والعيون أن البساتين كانت ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وأنهار جارية ، وذكروا فى ذلك المقام الكريم أنه أراد به مجالس الأمراء والرؤساء التى كانت لهم ، وقيل إن فرعون كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب ، يجلس عليها الأمراء والأشراف من قومه ، وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب

ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى خطأ المفسرين فيما ذكر الله من إرث بنى إسرائيل فى تلك الآيات ، فقد ذكروا أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة . ولا شك أن من يدرس تاريخ بنى إسرائيل من عهد موسى إلى ظهور الإسلام ، وكذلك تاريخ مصر فى ذلك العهد ، لا يجد شيئاً فيهما يثبت أن بنى إسرائيل قام لهم فيه ملك فى مصر ، أو أنهم ردوا إليها فأعطوا ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة . والحق أن الله تعالى يشير بذلك إلى بساتين وعيون كانت لبنى إسرائيل فى فلسطين ، وذلك بعد أن قامت لهم فيها تلك الدولة العظيمة ، وبلغت أوج عظمتها فى عهد داود وسليمان عليهما السلام . فالضمير فى (أورثناها) يعود إلى مطلق الجنات والعيون وما ذكر معها ، ولا يعود إلى خصوص ما كان منها فى مصر على ذلك العهد ، وهذا من أسلوب الاستخدام المألوف فى لغة العرب ، ويعتمد فى بيان المراد منه على السياق وقرائن الأحوال

وأما الآيات الواردة فيما يستحق الذم من الحضارة المصرية القديمة ، فهى التى وردت فى قيام الحكم فيها على التفريق بين الشعوب ، واستخدام الشعوب الضعيفة فى مصلحة الشعوب القوية ، وذلك قوله تعالى فى الآيات — ٤ ، ٥ ، ٦ — من سورة القصص ، (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ، وقد ذم القرآن الكريم من ذلك ما يستحق الذم ، لأن الحكم الصالح يجب أن يقوم على التسوية بين الشعوب ، وعلى الأخذ بيد الشعب الضعيف حتى يصل إلى ما وصل إليه الشعب القوى ، فلا يرهق شعب فى العمل لسعادة شعب أقوى منه ، ولا يرى شعب أن يستأثر بأسباب السعادة لنفسه ، لأن هذا مما يثير الأحقاد بين الشعوب ويعوقها عن التعاون فى العمل لسعادة البشر فى هذه الحياة ، بما يقوم بينها من المنازعات والحروب ، ولا سعادة لها إلا بالسلام ، ولا سلام لها إلا بالعدل والمساواة .

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

إلى هواة المغناطيسية

وإلى المصابين باضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بغمرة بمصر وارفق بطلبك ٣٠ مليماً طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .